



## البيرامية: تأثيرها التاريخي في الإسلام العثماني

### مرحلة من التحولات العقائدية والصراع الروحي في الفكر العثماني.

العقيدة البيرامية، وبالرغم من كونها غير مشهورة، لكنها ذات تأثير كبير في أواسط آسيا وشرق أوروبا المسلم، إذ تكاد تجمع المصادر على أنها فرقة متطرفة تُنسب لمؤسسها حاجي بيرام ولي، وتشتق من الخلوتية، ويدعي أتباعها أنه قد عُهد إلى الخليفة أبي بكر رضي الله عنه بالذكر الخفي، وإلى الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالذكر الجلي.

اكتسبت البيرامية شهرتها من اتباع محمد الفاتح لها في بداية حياته، حتى تم فتح القسطنطينية، إذ تشير المصادر إلى انتقاله لحب المسيحية وتولعه بها، لقد تنقل الفاتح بين العقائد في أطوار عمره المختلفة. وتخص البيرامية أتباعها بالذكر الخفي، وبعد وفاة مؤسسها انقسمت إلى بيرامية شمسية وبيرامية ملامتية. فالأولى أخذت بالذكر الجلي، والثانية اتبعوا الملامتية وهجروا الذكر والورد وتكايهم، وفلسفتهم تحريم إظهار التقوى، والمبتدئ في البيرامية يمارس العبادة على أساس توحيد الأفعال أو فنائها في فعل الله، باعتبار أنها جميعًا من عند الله، فليس العبد هو الفاعل، وإنما الفاعل الحقيقي هو الله، ثم تأتي المرحلة التي يفهم فيها أن الأفعال هي كشف لصفاته، وتلك الصفات أو فنائها في صفات الله، ثم تأتي المرحلة الأخيرة والتي يفهم فيها أن الصفات قد فنيت في صفات الله، ولم يعد غير صفات الحق التي هي تجلياته لذاته فإن الوجود يصبح في حقيقته واحدًا وهذه هي مرحلة توحيد الذات، أو فناء كل الذوات في ذات الله تعالى.

يرى البعض أنّ الطريقة البيرامية جمعت بين الطريقتين النقشبندية والخلوتية، وقالوا إنّها لهذا السبب تعتقد بالذكر الخفي تقليدًا للنقشبندية، وأيضًا بالذكر الجلي تقليدًا للخلوتية. علاقة محمد الفاتح بالعقيدة البيرامية؛ بسبب علاقته الوثيقة بمعلمه آق شمس الدين، حيث وثق الفاتح في معلمه الذي تبارك به واعتبره من الخارقين، فانتسج نطاق تلك الطريقة حتى أنها طغت تمامًا على العبادة في الولايات الغربية للسلطنة العثمانية، خاصة البوسنة والهرسك وشوهتها وحولتها إلى طقوس لا علاقة لها بالإسلام الصحيح، ويقول فهمي هويدي في دراسة منشورة كتاب جامع الكتب الإسلامية فصل (الطرق الصوفية وانتشار البدع): "إن الطرق الصوفية قد استفحلت في بعض مناطق يوغسلافيا، وشوّهت تعاليم الإسلام. وليس أمام المسلمين هناك قنوات شرعية لتوصيل الدين الصحيح إليهم، فتصور عامة المسلمين أن الدين هو هذه الطريقة أو تلك، أما أئمة المساجد فدورهم محدود، حيث إن الإمام يقول كلمته مرة كل أسبوع، والناس يعيشون في عالم آخر يرفض الدين، ويجرح تعاليمه الأساسية بقية الأسبوع". وفي كتاب السلالة البكرية الصديقية لأحمد فرغلي الدعباسي البكري، ذُكر أن آق شمس الدين درّس محمد الفاتح عددًا من العلوم، ومنها الجريقية البيرامية، وورد فيه أن لـ آق شمس الدين كرامات قريبة من السلطان محمد الفاتح.

لم تتوقف كرامات "آق" عند ذلك بل زعموا أنه أخبر السلطان أنه من سيفتح القسطنطينية، وأنه المقصود بالحديث الشريف - غير الصحيح في أساسه -، وأنه هو من عرف مكان قبر الصحابي أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، الذي كان مجهولًا لأكثر من 800 سنة حتى جاء آق شمس الدين وعرفه ووضع عليه بأمر محمد الفاتح ضريحًا.

هكذا انغمس الفاتح في البيرامية وطريقتها العقائدية وأفكار ونشرها، ومن أبرز سمات البيرامية التي عرفت عنها، شدة الإيمان بوحدة الوجود، إذ تعرف ذلك بأن الإيمان القلبي بوحدة الوجود مرحلة يمكن الوصول إليها في نهاية السلوك؛ في حين أنّ السالك في البيرامية يبدأ سلوكه بالأيمان بوحدة الوجود، ويسعى لتحقيق هذا الإيمان في نفسه. وقد عدّ "بيرام الولي" وهو مؤسس الطريقة المراتب الثلاثة الموصلة إلى التوحيد حسب طريقته كالتالي: العلم "ببلمك"، الإيجاد "بولماق" والصيرورة "أولماق"، وقد وردت هذه المراتب في الرسالة النورية ومقامات الأولياء لـ آق شمس الدين "معلم محمد الفاتح".

وبسبب الدعم الكبير وإيمان محمد الفاتح بهذه الطريقة انتشرت البيرامية في ضواحي أنقرة، وإسطنبول، وأدميت، وبويل، وبورصة، وأصنة، ومرعش، وقشطنموني. وبُنِي لها ما يُسمى خانقاهات، أو التكايا البيرامية.

1- أحمد القصير، عقيدة الصوفية ووحدة الوجود الخفية (الرياض: مكتبة الرشد، 2003).

2- عبدالمنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والتنظيمات والحركات (القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت).

3- نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة: نورالدين شريبه، ط2 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 2002).

